المجلة التاريخية الجزائرية
ISSN: 2572-0023 / EISSN: 2716-9065
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/664
المجلد:06، العدد:01 (2022)، ص169-192

الهجرة الأندلسية وأثرها العلمي في المغرب الأوسط بين القرنين 2-8هـ/ 8- 14م

Andalusian immigration and its scientific impact on the Middle Maghreb between the 2-8 AH/8-14 CE centuries

فاتح مزردي*
مخبر التاريخ والحضارة والجغرافيا التطبيقية
جامعة البليدة 02 (الجزائر)
ef.mezerdi@univ-blida2.dz

الطيب بوسعد
جامعة البليدة 02 (الجزائر)
boussaadtayeb@gmail.com

معلومات المقال
تاريخ الارسال:
2021/12/15
تاريخ القبول:
2022/01/18
الكلمات المفتاحية:
- الهجرة
- المثاقفة
- البيوتات العلمية
- المجالس العلمية

الملخص:

كان المغرب الأوسط محطة مهمة للهجرة الأندلسية منذ الفتح الإسلامي إلى ما بعد سقوط غرناطة، وساهمت عدة دوافع في استمرار الهجرة واختلفت العناصر المهاجرة خاصة منها فئة العلماء الذين قصدوا حواضر المغرب الأوسط مثل تلمسان وبجاية وتيهرت ووهران واستقروا بها، والذين لقوا اهتماما ودعما كبيرا من سلاطين وأمراء البلاد وتولوا عددا من المناصب السياسية والدينية والثقافية وساهموا في تنشيط الحياة العلمية خاصة في الفترة ما بين القرنين الثاني والثامن هجري. فما هي مراحل الهجرة الأندلسية للمغرب الأوسط ؟ وما هو أثرها العلمي.

Article info
Received:
15/12/2021
Accepted:
18/01/2022
Key words:
- Immigration
- Acculturation
- scientific houses
- Scientific councils

Abstract:

The Middle Maghreb was an important station for Andalusian immigration since the Islamic conquest until after the fall of Granada, and several motives contributed to the continuation of immigration. They held a number of political, religious and cultural positions and contributed to the revitalization of scientific life, especially in the period between the second and eighth centuries AH. What are the stages of Andalusian migration to the Central Maghreb? And what is its scientific impact?

*المؤلف المرسل

مقدمة

تعتبر الهجرة من الظواهر البشرية القديمة فكان الإنسان ينتقل دائما من مكان لآخر عبر العصور المتعاقبة ولأسباب متعددة سياسية واقتصادية تترتب عنها نتائج كثيرة ديمغرافية واجتماعية وثقافية، وشهد الغرب الإسلامي على مر تاريخه حركات هجرة وتنقل جد واسعة منها الطوعية لأهداف اقتصادية أو علمية ومنها القسرية بحثا عن مناطق الاستقرار السياسي والأمن وهو ما وفرته منطقة شمال إفريقيا التي استقبلت وفودا وهجرات كثيرة منذ القديم كالفينيقيين واليونانيين والوندال والرومان والعرب وخاصة منها الهجرة الأندلسية للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط بيالتي كان لها أثرا بارزا على كل المجالات الاقتصادية والعمرانية وخاصة منها العلمية والثقافية وهو ما سنحاول توضيحه وإبراز الأثر العلمي والحضاري للأندلسيين على حواضر المغرب الأوسط خلال فترة الدراسة.

فطرحنا الإشكاليّة التّاليّة: **ما مدى تأثير الهجرة الأندلسية في الحياة العلمية للمغرب الأوسط بين القرنين الثاني والثامن هجري؟** وللإجابة على الإشكاليّة حاولنا الإجابة على مجموعة من التّساؤلات الفرعيّة هي: **ما هي مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط؟ وما هو الأثر العلمي للهجرة الأندلسية في المنطقة؟**

واتّبعنا في دراستنا لهذا الموضوع المنهج التّاريخي من حيث الاعتماد على المصادر والمراجع لتتبّع المراحل التّاريخيّة للهجرة الأندلسية لإعطاء صورة واضحة لأثر الهجرة الأندلسية في الحياة العلمية للمغرب الأوسط خلال هذه الفترة.

1. مفهوم الهجرة وأبعادها في تاريخ المسلمين

هَجَر، هَجْراً أي تباعد ويقال هَجَرَ الفحل أي ترك الضراب، والمريض أي هذى، وفي الشيء وبه أي أولع بذكره، والشخص أي تركه وأعرض عنه، ويقال هجر زوجته أي اعتزل عنها ولم يطلقها، والدابة هَجْرًا أو هُجُورًا أي أوثقها في الهجار وهو حبل يعقد في يد الدابة ورجلها في أحد شقيها. وهَاجَرَ؛ أي ترك وطنه، ومن مكان ما أو عنه أي تركه وخرج منه إلى غيره، والقوم أي تركهم وانتقل إلى آخرين.

والهِجْرَةُ هي الخروج من أرض إلى أخرى وانتقال الأفراد من كان لآخر سعيا وراء الرزق[1] وهَجَرَ الشِّرك هَجْرًا وهِجْرَانًا وهِجْرَةٌ حسنة أي تركه، والهجرتان هما هجرة الحبشة والهجرة إلى المدينة المنورة[2] وهي الهجرة من دار الكفر إلى دار الإيمان فيقول الله تعالى في التنزيل الحكيم: ﴿**وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾[3]، وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: (**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهْلِي إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ أَوْ هَجَرُ، فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ، وَرَأَيْتُ فِي رُؤْيَايَ هَذِهِ أَنِّي هَزَزْتُ سَيْفًا، فَانْقَطَعَ صَدْرُهُ، فَإِذَا هُوَ مَا أُصِيبَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، ثُمَّ هَزَزْتُهُ أُخْرَى فَعَادَ أَحْسَنَ مَا كَانَ، فَإِذَا هُوَ مَا جَاءَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْفَتْحِ وَاجْتِمَاعِ الْمُؤْمِنِينَ**)[4].

وتعد الهجرة من أهم عناصر القوة والبعد عن الضعف في الأمة الإسلامية وتتمثل أهميتها في التخلص من الفقر والخوف وبحثا عن الرزق لقوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾[5]، وتعزيز القوة والمنعة وتبوء المراتب والجزاء الكبير في الدنيا والآخرة لقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[6]، والهروب من الفتن والظلم فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: (**يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنْ الْفِتَنِ**)[7].

كل هذه المعاني توضح لنا قيمة الهجرة في تاريخ المسلمين وتأكيد أثرها الإيجابي على الأفراد والمجتمعات وهو حال هجرة مسلمي الأندلس نحو المغرب الإسلامي بشكل عام والمغرب الأوسط بشكل خاص خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين الثاني والثامن هجري فإن الهجرة الأندلسية للمغرب الإسلامي كانت مبكرة قبل نهاية حكم المسلمين بالأندلس سنة 897هـ/ 1492م فقد مرت بلاد الأندلس بعدة محن وفتن أدت لانتقال أهل الأندلس إلى العدوة المغربية ويذكر "**ابن خلدون**" أن أهل الأندلس افترقوا في الأقطار عند تلاشي ملك العرب بها ومن خلفهم من البربر وتغلبت عليهم أمم النصرانية فانتشروا في عدوة المغرب وإفريقية وشاركوا أهل العمران بما لديهم من الصنائع وانتقل الكثير منهم طوعا وكرها وكانت هجرتهم متسعة النطاق فكان لبلاد المغرب حظ كبير من الحضارة[8].

فارتبط الأندلس بالمغرب الأوسط خاصة منذ عصر الخلافة وتوثقت العلاقات وجعلت التبادل الفكري أسرع منال وأكثر فعالية فنجد كتب السير والتراجم قد ترجمت لكثير من العلماء والفقهاء الذين رحوا من الأندلس باتجاه حواضر المغرب الأوسط كابن الفرضي والحميدي والخشني والقاضي عياض وكان لهم الأثر البارز في ازدهار الحياة الثقافية في بجاية وتلمسان وغيرها[9]، **فما هي دوافع ومراحل هذه الهجرة وما هو أثرها على المغرب الأوسط خاصة على الحياة الثقافية والعلمية؟**

2. مراحل ودوافع الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط

مرت الهجرة الأندلسية للمغرب الأوسط بعدة مراحل منذ النصف الأول من القرن الثاني للهجري إلى ما بعد سقوط غرناطة؛ تبدأ المرحلة الأولى من القرن الثاني إلى القرن السادس هجري والمرحلة الثانية من القرن السابع إلى القرن التاسع هجري أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة ما بعد سقوط غرناطة، وسنركز على المرحلة الأولى والثانية من القرن الثاني إلى نهاية القرن الثامن هجري فخلال هذه الفترة الزمنية توافد عدد كبير من مسلمي الأندلس الذين احتضنتهم حواضر المغرب الأوسط في ظل ظروف وأسباب كثيرة ومتعددة.

1.2.المرحلة الأولى (ق. 2- 6هـ / ق. 8- 12م)

خلال المرحلة الأولى من الهجرة الأندلسية كان التوافد قليل وهذا لعدم وجود محفزات كبيرة خاصة مع عدم الاستقرار السياسي الذي كان يسود المغرب الأوسط خلال الفترة الأخيرة من عصر الولاة وغياب دواعي الجذب والاستقطاب خاصة فيما يخص الجانب العلمي وفرص شغل مناصب مهمة في الدولة كالتعليم والقضاء والوظائف الأخرى بالمقارنة مع القيروان وفاس في المغربين الأدنى والأقصى التي كانت أكثر جذبا للأندلسيين[10]، وقد عرف المغرب الأوسط هجرة معتبرة خلال الفترة الأخيرة من عصر الولاة بالأندلس في عهد "**يوسف بن عبد الرحمن الفهري**" (ت. 139هـ/759م) الذي عرفت بداية ولايته صراع كبير وفتنة انتهت بمقتل "**أبي الخطار**" و"**ابن حريث**" سنة 130هـ/748م وأتبع الله بعد ذلك الأندلس بالوباء والموت حتى كاد الخلق ينقرض بسبب ذلك وفي 131هـ/749م.

أمحلت الأندلس وأجدبت أرضها بعدما انقطع المطر وعم الجفاف واستمر المحل الشديد ثلاث سنين وفي 133هـ/ 750م استحكم الجوع والقحط الذي استمر إلى غاية 136هـ/ 754م حتى خرج أكثر الناس إلى طنجة وزويلة ومنها لمدن المغرب الأوسط[11]، وتكرر الأمر في عهد "**عبد الرحمن الداخل**" (ت. 172هـ/788م) أين وقع قحط عظيم في جميع بلد الأندلس سنة 147هـ/764م وكذا في 161هـ/778م ساد القحط والمجاعات في كامل البلاد، وكذلك في سنة 197هـ/812م على عهد الخليفة "**الحكم بن هشام الربضي**" (ت. 206هـ/ 822م) أصابت الأندلس مجاعة شديدة مات فيها خلق كثير في شرق الأندلس.

وإلى جانب القحط وهذه المجاعات والأوبئة المتتالية التي دفعت الأندلسيين للهجرة كان ما قام به "**الحكم الربضي**" في سنة 189هـ/805م سببا كافيا للهروب من العدوة الأندلسية والتوجه نحو بلاد المغرب عبر الموانئ إلى سواحل المغرب الأوسط حيث قتل الحكم اثنين وسبعين رجلا من أشراف أهل قرطبة وعلمائها وصلحائها وفقهائها وصلبهم ومنهم الفقيه "**أبو زكريا يحيى ين مضر**" الكبير القدر في الدين والعلم والورع فخافه الناس وذعر منه جميع أهل الأندلس وخاصة العلماء والفقهاء منهم الذين فكروا في الرحيل والعديد منهم توجه نحو بجاية والجزائر بني مزغنة[12].

وفي عهد "**عبد الرحمن الأوسط**" (ت. 239هـ/852م) الذي يعتبر بداية للنهضة الثقافية والحضارية في الأندلس أين قام ببناء المساجد والقصور والجسور والمنتزهات وكانت هذه الحركة العمرانية تحتاج منه لمبالغ هائلة وتسببت أن قويت الجبايات التي أنهكت الأهالي وتسبب هذا البذخ والانفاق الكبير والضرائب في سوء الأوضاع الاجتماعية واستفحال المجاعة سنة 207هـ/822م التي زادت بسبب توقف الأمطار واحتباسه وبسبب الجراد الذي أكل الغلات[13]، وفي هذه السنة وقع "**عبد الرحمن**" في فتنة كبيرة مع جند البصرة وأهلها والتي سميت بوقعة "**بالس**" وثورة أهل "**ألبيرة**" عليه بسبب عامل اسمه "**ربيع**" ظلم أبناء أهل الذمة والتي انتهت بقتل ذريع في جند ألبيرة وفتنة أخرى كانت في تدمير بين المضرية واليمانية انتهت بوقعة "لورقة" التي مات فيها أكثر من ثلاثة آلاف رجل بعد أن دامت الحرب سبع سنوات[14].

فنستنتج من خلال ما ذكرنا أن الهجرة الأندلسية خلال القرن الثاني هجري كانت أغلبها قسرية بسبب الظروف الاجتماعية الجد متدهورة بسبب القحط وانتشار الأوبئة والمجاعات وبدرجة أكبر عدم الاستقرار السياسي الذي عكر مزاجهم وصفو حياتهم منذ أواخر عصر الولاة وبداية عصر الخلافة الأموية بالأندلس سواء بسبب الصراع مع النصارى أو بسبب رفض البيعة وظهور المناوئين للخلفاء والخلاف عليهم والاستبدال بهم.

وخلال هذه الفترة نجد أن المغرب الأوسط كان يعيش مرحلة ازدهار اقتصادي وثقافي كبير على عهد الدولة الرستمية وكانت تيهرت مركز إشعاع علمي وتجاري ومقصد للأندلسيين الذين توجهوا نحو البلاد عن طريق الموانئ بهدف التجارة حيث عرفت الواجهة البحرية وموانئ المغرب الأوسط نشاط وحركة تجارية كبيرة، كما كانت تيهرت تستقطب العلماء من الأندلس وما ذلك يؤكد ذلك أن لما حضرت الوفاة "**عبد الرحمن بن رستم**" جعل الأمر شورى في سبع نفر كان من بينهم رجلين من الأندلس الأول "**مسعود الأندلسي**" الفقيه الورع و"**عمران بن مروان الأندلسي**"[15]، ولا شك أنهما بلغا في العلم الغاية إذ أن مجرد ترشيحهما للإمامة يدل على ذلك وتدل على عمق العلاقة الثقافية التي كانت موجودة بين تيهرت والأندلس وكان العلماء نقطة وصل بواسطة رحلاتهم وهجراتهم[16].

وأثناء المجاعة التي ضربت قرطبة وشرق الأندلس سنة 207هـ/822م قام الأمير"**عبد الرحمن الأوسط**" على تحسين علاقته بأئمة تيهرت "**عبد الوهاب بن عبد الرحمن**" و"**أفلح بن عبد الوهاب**" من بعده بالرغم من الاختلاف المذهبي بهدف الحصول على الإمدادات الغذائية وتزويد رعيته بالغلال لا سيما القمح[17]؛ لذا فقد داومت سفن الأندلسيين القادمة من تدمير والمرية على زيارة موانئ الدولة الرستمية ووصل الأمر حتى إذاعة خبر انتصاراته عند أمراء البربر في المغرب وخاصة تيهرت حينما أرسل للإمام "**أفلح بن عبد الوهاب بن رستم**" خبر انتصاره على المجوس النورمانديين في معركة "**تابلادا**" جنوب "**إشبيلية**" عام 230هـ/844م[18].

ومن مظاهر الترابط القوي بين المغرب الأوسط والأندلس خلال هذه الفترة هو مساهمة البحارة الأندلسيين في بناء بعض المرافئ والموانئ على طول ساحل المغرب الأوسط والاستقرار بها خدمة للتبادل بين البلدين، ولأن الحياة الثقافية كانت مزدهرة في تيهرت وحواضر الدولة الرستمية وكانت مركز استقطاب العلماء والفقهاء والمؤلفين والنساخ كان توفير الورق لغرض الكتابة أمرا بديهيا ما جعل استيراد هذه المادة ضروريا وكانت مدينة "**شاطبة**" من تزود الدولة بالورق وانتقل مع هذه التجارة النساخ والكتاب وأصبحت الجالية الأندلسية في المغرب الأوسط تضم العلماء والفقهاء؛ إذن سهل التعاون والتقارب السياسي والتجاري بين الدولة الأموية في الأندلس والدولة الرستمية في المغرب الأوسط في إنشاء العديد من المدن والثغور والموانئ والمرافئ من طرف الملاحين الأندلسيين مثل تنس ووهران ومرسى الدجاج[19].

وتعتبر تنس من المدن التي ازدهرت بفضل التجار الأندلسيين وهو ما ذكره "**ابن حوقل**" لما قال: "**تنس مدينة عليها سور ولها أبواب عدة وبعضها على جبل قد أحاط به السور وبعضها في سهل وهي من البحر**

على بعد ميلين... وهي أكبر المدن التي يتعدى إليها الأندلسيون بمراكبهم ويقصدونها بمتاجرهم وينهضون منها إلى ما سواها..."[20]، ويذكر البكري أيضا مدينة تنس ويقول: "**... تنس مدينة مسورة حصينة داخلها قلعة صغيرة صعبة المرتقى ينفرك بسكناها العمال لحصانتها وبها مسجد جامع وأسواق كثيرة ... يذكر أهل تنس... أن تنس الحديثة أسسها وبناها البحريون من أهل الأندلس منهم الكركرنى وأبو عائشة والصَّقَر وصهيب وغيرهم وذلك سنة اثنتين وستين ومائتين، ويسكنها فريقان من أهل الأندلس من أهل ألبيرة وأهل تدمير...**"[21].

أما مدينة "**وهران**" فيعود تأسيسها إلى عهد أمراء بني خزر المغراويين الذين كان موطنهم الأصلي من سهول مليانة إلى مستغانم، وأول من اختط المدينة "**خزر بن حفص المغراوي**" بالاتفاق مع الأمير الأندلسي "**محمد بن عبد الرحمن بن الحكم**" (ت. 299ه/911م) عام 291ه/904م وكانت جمعيات البحارة في المرية قد سعت لتأسيس مراكز وموانئ على طول شواطئ المغرب الإسلامي وكان من جملتها مرسى وهران الذي أسس في 290ه/903ه[22]، وهو ما أكده البكري بقوله: "**ومدينة وهران مدينة حصينة ذات مياه سائحة وأرحاء ماء وبساتين، ولها مسجد جامع، وبنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون وجماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون مرسى وهران باتفاق منهم مع نفزة وبني مسقن، وهم من أزداجة، وكانوا أصحاب القرش سنة تسعين ومائتين، فاستوطنوها سبع أعوام...**"[23].

أما في القرن الرابع هجري فنجد أسرة بني حمدون الأندلسية التي انتقلت من الأندلس عام 269ه/ 883م واستقر "**حمدون**" ببجاية وصحب "**أبا عبد الله الشيعي**"، ولما تغلب الشيعي على إفريقية ظهر "**علي بن حمدون**" الذي ازدادت حظوته لدى الشيعي وأمره ببناء المسيلة وولاه عليها واستمر حكم بني حمدون في المغرب الأوسط طيلة القرن الرابع هجري[24]، وقد شهدت المسيلة عصرها الذهبي وصارت حاضرة للعلم ووسطا ثقافيا راقيا ومركز كبير للأدباء والشعراء والعلماء، ورغم ذلك لم تشهد استقطابا كبيرا للعنصر الأندلسي باستثناء البعض منهم أمثال "**ابن هاني المغربي الأندلسي**" (ت. 362ه/973م) شاعر بني حمدون والدولة الفاطمية الذي ترك إشبيلية ومرجح أنه وصل لأرض المغرب في 347ه/958م واستقر في المسيلة عند بني حمدون بعد انتصار جوهر الصقلي في حملته المغربية وفتح عاصمة الأدارسة فاس في 348ه/959م[25].

ونجد بالمقابل أن الجالية الأندلسية كانت كبيرة ومسيطرة على التجارة وكل أمورها في كثير من المدن الساحلية للمغرب الأوسط خلال القرن الرابع ومطلع القرن الخامس مثل مرسى الخزر وبونة وبجاية ومرسى الدجاج ومرسى فروخ[26].

ومن خلال ما تقدم نلاحظ أن الهجرة الأندلسية نحو المغرب الأوسط خلال المرحلة الأولى لم تكن كبيرة وارتبطت أساسا بهجرة قسرية هروبا من الفتن والحروب وعدم الاستقرار السياسي الذي شهدته العدوة الأندلسية خلال الفترة الأخيرة من حكم الولاة والمراحل الأولى من الحكم الأموي في الأندلس، إضافة إلى انتشار الأزمات الاقتصادية والمجاعات والأوبئة التي دفعت الكثيرين إلى ترك الأندلس والتوجه إلى بلاد المغرب ولأن المغرب

الأوسط خلال هذه الفترة كان تحت الحكم الرستمي تسبب الاختلاف المذهبي في تحفظ العلماء في الانتقال إلى تيهرت رغم أنها كانت حاضرة علمية ومركز استقطاب علمي وثقافي وحضاري كبير.

وفي القرن الخامس تسارعت وتيرة الهجرة الأندلسية للمغرب الأوسط وهذا بسبب شروع الإسبان في حروب الاسترداد، فكان سقوط الخلافة الأموية في سنة 422هـ/1031م بالأندلس حدثا كارثيا على الأمة الإسلامية فبعد عزل آخر خلفائها "**هشام الثالث المعتمد بالله**" (ت. 428هـ/ 1036م) وإجلاء ما تبقى من المروانية عن قرطبة أعلن الوزير "**أبو الحزم بن جهور**" انتهاء رسم الخلافة نهائيا لعدم وجود من يستحق تمثيلها[27].

ويذكر "**لسان الدين ابن الخطيب**" في كتابه أعمال الأعلام: "... **أن ذهب أهل الأندلس في الانشقاق والإنشعاب والافتراق... فاقتطعوا الأقطار واقتسموا المدائن الكبائر، وجبوا العمالات والأمصار، وجندوا الجنود وقدموا القضاة وانتحلوا الألقاب... وهم ما بين مجبوب وبربري مجلوب ومجند غير محبوب وغفل ليس في السراة بمحسوب... وقصارى أحدهم أن يقول: أقيم على ما بيدي حتى يتعين من يستحق الخروج به إليه، ولو جاءه عمر بن عبد العزيز لم يقبل عليه ولألقى غير الدية**"[28].

وانقسمت بذلك بلاد الأندلس من الناحية الإقليمية إلى عدة مناطق هي قرطبة وأحوازها وإشبيلية وما يلحق بها من مناطق غرب الأندلس ومدينة بطليوس وغرناطة وبلنسية وما لحق بها من مناطق شرق الأندلس وسرقسطة الثغر الأعلى وطليطلة الثغر الأوسط ودانية وجزر البليار[29].

وقد انضوت هذه الدويلات الطائفية تحت لواء ثلاث أحزاب سعى كل منها لبسط نفوذها على بلاد الأندلس؛ فالحزب الأول هم أهل الأندلس القدامى والحزب الثاني المغاربة أو البربر حديثي العهد بالأندلس ومنهم بنو زيري الصنهاجيين وبنو حمود الأدارسة العلويين ثم والحزب الثالث الذي ضم كبار الصقالبة الذين تمركزوا بدانية والجزائر الشرقية واستقلوا بحكمها[30]، وقد كان بين دويلات الطوائف التنافس والتناحر على السلطة وأعماها هذا التنافس عن رسالتها الجهادية وأخذت كل دويلة تستعين على أختها بالنصارى ودفعت الإتاوات لضمان السلم بكل خزي وعار وخسة ونذالة على عكس الممالك النصرانية التي بدأت تحضر نفسها للاستيلاء على الثغور[31].

وفي ظل الظروف السياسية المتردية التي يمر بها الأندلس وذلك بتوالي هجمات الممالك النصرانية وتضييقهم الخناق على كل المدن الأندلسية ومنها بربشتر التي أباد بها هؤلاء خلقا كثيرا سنة 456هـ/1064م[32] وأدى عودة ملوك الطوائف إلى سابق عهدهم في التآمر والتخاذل إلى تتويج جهود الصليبيين وتمكن قادتهم من الاستيلاء على عدة مدن إسلامية فقد سقطت مدينة قلمرية في 456هـ ومدينة مجريط سنة 476هـ/1083م بالإضافة إلى مدينة قلهرة وشنتمرية التي استولى عليها "**فرديناند بن شانجه**" تباعا[33]، ثم بدأت تسقط المدن واحدة تلو الأخرى في الوقت الذي استغرق ملوك الطوائف على الترف واللهو إلى أن استفاقوا على سقوط مدينة طليطلة سنة 478هـ /1085م في يد "**ألفونس السادس**" ملك قشتالة[34] واستغل "**الفونس**" بعدها

غياب "**أبو الطاهر تميم**" عن الأندلس واستنفر قوات جديدة وضرب حصارا على سرقسطة الذي استمر حتى أرسل أهلها لملك أرغون يطلبون توقيف القتال.

وبعد تقاعس "**تميم**" عن إنقاذ إخوانه خرجوا من سرقسطة إلى مرسية وبلنسية ودخل النصارى سرقسطة فسقطت بذلك قاعدة الإسلام الكبرى في شرق الأندلس في 512ه/1118م[35]، وقد تركت المدينة لمصيرها ومنح "**الفونس**" لأهلها هدنة مؤقتة لتسليمها ووضعوا شروط الاستسلام التي نصت على تسليم المدينة لملك أرغون وقشتالة وفرض الجزية على من فضل البقاء من المسلمين ومن أراد الرحيل إلى إحدى بلاد المسلمين رحل وله الأمان التام وأن يسكن الروم المدينة والمسلمين ربض الدباغين وتم تسليم المدينة في الرابع من رمضان 512ه الموافق لـ 18 ديسمبر 1118م[36].

ولما استقر الفونس بالمدينة أخذ أكثر المسلمين في الرحيل والفرار فبلغ عددهم نحو خمسين ألف نسمة ما بين صغير وكبير ونساء ورجال ركب أغلبهم البحر نحو موانئ المغرب الأوسط، ويبدو أنها كانت أول هجرة أندلسية واضحة نحو "**جزائر بني مزغنة**" فاستقروا في أعالي الجزائر وكان موطن استقرارهم بحي أو حومة الثغريين ولا تزال الهضبة التي استوطنوها تحمل اسمهم إلى اليوم ويعود لهم الفضل الأكبر في إحياء المنطقة والقضاء على الأحراش واستصلاح غابات المنطقة، وكان خط سير الثغريين من سرقسطة البيضاء أيام حكم أمير المسلمين "**علي بن يوسف بن تاشفين**" (ت.537ه /1143م) فقد حملهم الأسطول المرابطي العامل في السواحل والجزر المرابطية من ميناء ألمرية إلى "**جزائر بني مزغنة**" رأسًا وكانت الحاضرة المرابطية الشهيرة بالمغرب الأوسط[37] وبعدها استولى "**الفونس**" على طرسونة ثم برجة وقلعة أيوب في 513ه /1119م[38].

وعاود استئناف نشاطه العسكري للسيطرة على أراضي الثغور الشرقية للأندلس وأراد السيطرة على لاردة وإفراغه وطرطوشة ولما سمع أمير المسلمين بذلك جهز جيشا بقيادة "**بدر بن ورقاء**" وتوجه نحو مرسية تعزيزا لجيش المرابطين واشتبكت الجيوش في موضع القلعة أو القلاعة في 523ه/1129م التي انتهت بهزيمة المرابطين[39]؛ وهو الأمر الذي دفع "**ألفونس المحارب**" إلى التقدم إلى بلنسية ولكنه اكتفى بالنهب والتخريب ولم يحاول احتلالها كانت هجرة أهل بلنسية الشهيرة هجرة كثيفة نحو تونس الحفصية وبجاية كما خرجت عائلات كثيرة من تونس واستقرت أولا بمدينة القل وتادلس ومنها إلى فحص الجزائر ومتيجة أيام اشتداد الحملات الصليبية الإسبانية على بجاية وبونة والقالة وهي الهجرات التي كانت بطريقة أو بأخرى تتم نحو الجزائر منذ أيام المرابطين والموحدين[40].

2.2. المرحلة الثانية (ق. 7- 8ه/ 13- 14 م)

تزامنت المرحلة الثانية من تاريخ الهجرات الأندلسية مع بداية أفول المسلمين ببلاد الأندلس حيث عرف الغرب الإسلامي مع مطلع القرن السابع هجري تغيرات جذرية تجسدت في تراجع دور الموحدين وضعفهم العسكري والسياسي خاصة بعد الهزيمة الكبيرة في معركة "**حصن العقاب**"[41] سنة 609ه /1212م[42]؛ ونتج عن

تفكك أوصالها وتراجعها ثم زوال نفوذها بروز ثلاث دول سعت كل واحد لبسط نفوذها السياسي وخلافة السلطة السياسية في بلاد المغرب بالإضافة إلى دولة بني الأحمر في غرناطة آخر معاقل الإسلام في الأندلس.

ففي بلاد المغرب ظهرت الدولة الحفصية التي استقرت وتوسعت في المغرب الأدنى وعاصمتها القيروان والدولة المرينية التي خلفت السلطة الموحدية في المغرب الأقصى بعد استيلائهم على العاصمة مراكش والدولة الزيانية التي انحصر نفوذها في المغرب الأوسط وعاصمتها تلمسان التي عرفت تطورا وازدهارا كبيرين رغم الظروف السياسية التي تميزت بالصراعات والحروب[43]، فكان الزيانيون يحكمون باسمهم تلمسان وشقوا عصا الطاعة ونبذوا دعوة الموحدين معلنين استقلالهم 633هـ /1236م وتوارث بنو عبد الواد حكم المغرب الأوسط لأزيد من ثلاث قرون[44].

وكانت تبعات سقوط الدولة الموحدية بالأندلس ثقيلة الحمل ومزرية على المسلمين فظهرت زعامات محلية منقسمة ومتفرقة ومتحاربة سهلت كثيرا مهمة النصارى الذين كانوا مدفوعين بالشعور القومي والنزعة الصليبية المشتركة ضد الإسلام والتمهيد لمشروع الاسترداد وأصبحت الفرصة سانحة لتسديد ضربات قاتلة للبقية الباقية من المسلمين في الأندلس[45]، وبلغت دول إسبانيا النصرانية في نهاية القرن السادس وبداية القرن السابع الهجري خمس دول؛ هي قشتالة وأرغون وليون ونفار ومملكة البرتغال وكان أقواها مملكة قشتالة التي نازل ملكها "**الفونس الثامن**" الموحدين في معركتي الأرك في 591هـ/1194م وحصن العقاب.

ويظهر دور قشتالة أكثر بعد ضمها للممالك الأخرى وتمكن جيوش "**فرديناند الثالث**" من السيطرة على قرطبة في 23 شوال 633هـ الموافق لـ 29 جوان1236م وحولوا المسجد الجامع إلى كنيسة وهذا كان شعارهم كلما دخلوا مدينة إسلامية[46]، واستولوا على مدينة دانية في 641هـ/1243م مدينة جيَّان في 643هـ /1244م وشاطبة في 643هـ /1245م ثم إشبيلية في 646هـ/1248م وانتقال عاصمة مملكة قشتالة من طليطلة إلى إشبيلية وبعدها مرسية سنة 664هـ /1266م[47]، أما ملك أرغون "**خايمي الأول**" (جامقة الأول) فقد تمكنت جيوشه من إسقاط بلنسية في 636هـ/1238م وتعاونت هاتين الدولتين على مهاجمة الأندلس والقضاء على الوجود الإسلامي والموحدين ناهيك عن مملكة البرتغال التي سعت لاحتلال كل الأراضي التابعة للمسلمين غرب الأندلس[48].

وهنا بدأت الهجرة الأندلسية من المدن التي ضاعت بسبب التوسع النصراني وقد توجهوا نحو غرناطة آخر معاقل المسلمين في الأندلس والأغلبية توجهوا نحو بلاد المغرب خاصة المغرب الأوسط وعاصمته تلمسان[49]، ونلاحظ أن سياسة طرد مسلمي الأندلس من مدنهم بعد الاستلاء عليها سياسة واضحة وخطة متبعة من الممالك النصرانية الذين لا يلتزمون بالعهد لتصفية الوجود الإسلامي في شبه الجزيرة الإيبيرية[50]، ويرجع التقارب بين الدولة النصرية والزيانية لتخوف بني الأحمر من المرينيين حيث كانوا يتجنبون التعامل معهم وازدادت الشكوك لديهم تجاه الدولة المرينية لأنه كان لها دورا كبيرا في الجهاد بالأندلس [51] والسلطان المريني "**يعقوب بن عبد الحق**" استفحل أمره بالأندلس وتخوف "**محمد الفقيه**" من أن يكون منه كما حدث لابن عباد

على يد "**يوسف بن تاشفين**" فبحث عن طريقة للتخلص منه ولم يجد إلا تمتين العلاقات مع بني زيان[52]، حيث كانت العلاقة بينهم طيبة بدأت بالسفارة التي أرسلها السلطان "**محمد الفقيه**" سنة أواخر676هـ/1278م إلى السلطان "**يغمراسن بن زيان**" كان هدفها تأليب السلطان الزياني على مشاقة ومعاداة السلطان "**أبي يوسف**" بهدف إعاقته عن التحرك للغزو والفتح كما تبادلوا الهدايا والتحف[53] وأرسل "**يغمراسن**" للسلطان "**محمد الفقيه**" ثلاثين من عتاق الخيل مع ثياب من عمل الصوف لمواجهة الصليبيين[54].

وعن الجالية الأندلسية نجد مجموعة من الأندلسيين قدمت من غرب الأندلس نحو الأراضي الزيانية عقب سقوط إشبيلية وخلال الصراع الذي كان بين بني الأحمر وممالك شبه الجزيرة الإيبيرية خاصة مملكة أراغون وأغلب هؤلاء استقروا بتلمسان وريفها ووهران ومعسكر ومازونة ومستغانم[55]؛ فمنهم بنو حمدون وبنو حمود وبنو سلطان وبنو القاسم وبنو أبي بكر وبنو عبد الرحمن وبنو محمد بن عمر الشريف حيث امتدت فروع بني حمود إلى الساحل الوهراني والمستغانمي وإلى أرزيو واستوطن "**بنو سلطان**" الجزائر وتفرعوا في ساحلها واستقر بعضهم في مجاجة بنواحي شلف.

فكانت بذلك مدن المغرب الأوسط وتلمسان بشكل خاص محط الهجرات الأندلسية خاصة قبل سقوط غرناطة سنة 897هـ /1492م إذ استقرت الكثير من الأسر الأندلسية وتشكلت بها جاليات أندلسية عديدة كأسرة ابن وضاح وابن ملاح والعديد من العلماء أشهرهم "**أبي عبد الله الآبلي**" و"**أبو بكر بن الخطاب الغافقي**" و"**ابن الحباك**" الذين كان لهم الأثر الكبير في الحياة السياسية والثقافية في تلمسان[56].

ونجد أن المكانة الثقافية الرائدة التي بلغتها حاضرة تلمسان كما ذكرناه سابقا إنما تعزى للنزعة العلمية والفكرية التي تميز بها سلاطين وأمراء بني عبد الواد الذين كانت رعايتهم دائمة للعلم والعلماء وتشجيعهم للفقهاء والأدباء واستقبالهم من مختلف حواضر البلاد الإسلامية خاصة منها العدوة الأندلسية[57]، وما يؤكد اهتمام السلاطين الزيانيين بالجالية الأندلسية هو استقطابهم للعلماء للبلاط من كل حواضر الأندلس كالفقيه "**أبي بكر محمد بن عبد الله بن خطاب المرسي الأندلسي**" نزيل تلمسان (ت. 686هـ/1287م) الذي كان كاتبا في بلاطات الأندلس في غرناطة ومرسية قبل أن يرحل لتلمسان ويكتب في بلاط السلطان "**يغمراسن بن زيان**"[58].

هذا ما يوضح الأهمية التي خصصها للمهاجرين الأندلسيين بعدما لحق بهم من ظلم وإكراه من خلال ظهير الاصراخ والانجاد والترحيب بالمستغيثين الذي أصدره في شأنهم ومما جاء فيه: "**هذا ظهير عناية مديدة الظلال، وكرامة رحيبة المجال، وحماية لا يخشى على عقدها المبرم، وعهدها المحكم من الانحلال والاختيال، أمر به فلان أنجد الله أمره وأيد عصره لجميع أهل الأندلس المستوطنين بحضرة تلمسان حرسها الله أحلهم به من رعيه الجميل أكنافا، وبواهم من اهتمامه الكريم، وأنعامه العميم، جنات ألفافا، ووطأ لهم جنات احترامه تأنيسا لقلوبهم المنحاشة... فشكر عما تولوا فيها من الجد والاجتهاد، واطلع على أغراضهم**

السديدة في اختيار حضرته السعيدة للسكنى على سائر البلاد، فلحظ لهم هذه النية، واعتبرها، وأظهر عليهم مزايا ما لهم من هذه المناحي الحميدة ... "[59].

ومن خلال ما ذكرنا نستنتج أن الهجرة الأندلسية كانت مرتبطة بالعلاقة ما بين الزيانيين وبني الأحمر التي لا يمكن أن ندرسها بعيدا عن علاقة الدولتين بالمرينيين، فبعد استفحال خطر حروب الاسترداد الصليبية واشتداد ساعد سلاطين بني مرين في الاندلس لاحظنا تقرب بني الأحمر بالدولة الزيانية لكي يكونوا شوكة في جنب المرينيين تلهيهم عن أمر الجهاد في الأندلس فساعد التقارب في تضاعف حركة الهجرة، بالإضافة إلى دور السلاطين في النهضة العلمية التي اعتمدت على عدد كبير من علماء الأندلس الذين لقوا كل الدعم والتشجيع ما جعل حركة الهجرة تزداد بشكل كبير فأصبحت تلمسان تعج بالعلماء والفقهاء والشعراء الأندلسيين الذين أسهموا بدورهم في ازدهار الحياة الثقافية في حاضرة تلمسان.

3. الأثر العلمي للهجرة الأندلسية

إن التلاقح الحضاري ظاهرة قديمة في تاريخ الإنسانية عبر التجارة والرحلة أو الهجرة لطلب ومنها الهجرة الأندلسية للمغرب الإسلامي التي ترتب عليها أثرا حضاريا مس مختلف مناحي الحياة الاجتماعية والاقتصادية وخاصة الثقافية والعلمية؛ فيذكر "**ابن خلدون**" أن الرحلة لا بد منها في طلب العلم لاكتساب المعارف والفوائد والكمال بلقاء العلماء وأهل الصلاح من الرجال لأن حصول الملكات يكون أكثر رسوخا واستحكاما عن طريق المباشرة والتلقين وعلى قدر كثرة الشيوخ يكون ذلك التلقي والرسوخ وأن اللقاء بأهل العلم وتعدد المشايخ ينتج عليه تميز الاصطلاحات وتنهض القوى إلى الرسوخ وتصحح المعارف[60].

فالازدهار الثقافي والنشاط العلمي والحركة الفكرية الذي عرفه المغرب الإسلامي وبالخصوص المغرب الأوسط بين القرنين الثاني والثامن هجري يجمع بين المعنويات والماديات والروحيات ويدخل فيه العلم والمذهب والتاريخ والأدب والفلسفة وغير ذلك من فروع المعرفة وجميع أنواع النشاط الفكري؛ إنما ازدهر وانتعش بالتفاعل المستمر والتجاوب المنسجم الذي أسس لمشاركة إيجابية ومستمرة في ترقية وتطوير العلوم بين المغرب الأوسط والأندلس خلال هذه الفترة[61]، فكان دور حركة هجرة علماء الأندلس إلى المغرب الأوسط واستقرارهم في حواضر تلمسان وبجاية وجزائر بني مزغنة كبيرا في تطور الحركة الفكرية حيث كان لهؤلاء العلماء والفقهاء والأدباء والشعراء فضل كبير في ازدهارها وجعلها ملتقى للعلماء والطلبة القادمين من كل مكان[62] ولها حظ كبير من الحضارة خاصة منذ بدء دولة الموحدين في الأندلس وانتقل عدد كبير من الأندلسيين طوعا وكرها واستحكمت عوائدهم على نطاق واسع بعد أن أفاض سلاطين المغرب الأوسط العطاء والأموال الرعاية وهذا يثبت أن الحضارة تترسخ باتصال الدول[63].

1.3. دور العلماء في ازدهار الحياة العلمية والدينية

لقد تجلت التأثيرات الأندلسية العلمية في حواضر المغرب الإسلامي في عدة مجالات أهمها العلمية والدينية وفي مجال التأليف بفضل شخصيات علمية ودينية وأدبية وبيوتات علمية من الأندلس ذوي قدر كبير

من الثقافة والثراء العلمي استقروا في تلمسان وبجاية وأغلب حواضر المغرب الأوسط وبرز دورهم في إثراء الحياة العلمية والدينية بالتأليف والتدريس والاجتهاد الفقهي وصناعة الفتوى[64] .

ومن أهم العلماء الذين برزوا "**أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الإشبيلي الأندلسي**" (ت. 594ه/ 1197م) الذي ولد في قطنيانة قرب إشبيلية وتلقى تعليمه في الأندلس ثم عبر البحر إلى العدوة المغربية وتعلم بفاس ومراكش ونزل بجاية التي قضى فيها أغلب حياته إلى أن استدعاه "**يعقوب المنصور الموحدي**" إلى مراكش لينظر في مزاعم حول خطورته على دولته[65] وفي طريقه مرض وتوفي بواد يسر نواحي تلمسان ودفن خارج العباد[66] كان إماماً لُلعبّاد والزهاد وشيخ المشايخ وقدوة السائلين من أعلام العلماء وحفاظ الحديث[67] وكان كيسا عاقلا متحريا ورعا صادقا مقبول القول معظما في القلوب[68]، ومن أشهر شيوخه "**أبو يعزى**" (ت. 572 ه/1176م) الذي كان له فيه قدوة وتصوفا وخرقة وصحبة[69] و"**ابو الحسن بن حرزهم**" (ت. 596ه /1199م) الذي لازمه طويلا وأخذ كتاب السنن للترمذي على يد "**أبي الحسن بن غالب القرشي**" (ت. 570ه/ 1174م) و"**أبو عبد الله الدقاق**" وهو من كبار أهل التصوف وقد أخذ أبو مدين الطريقة على يديه بالإضافة إلى "**أبو الحسن السَّلَوِي**" و"**ابو الحسن ابن الصباغ**" و"**الشيخ عبد القادر الجيلي**"[70].

وخرَّج "**أبو مدين**" ألف تلميذ وكان فضله كبير عليهم ظهرت على كل واحد منهم كرامة وكان لهم شأن عظيم أمثال "**عبد الرحيم القناوي**" (ت. 592ه/1196م) و"**محمد بن ابراهيم الأنصاري المالقي**" وهو من كبار تلاميذ أبي مدين وأكثر عنه الرواية، وكان يحضر مجالس أبي مدين ببجاية و"**أبو الحسن الششتري**" ومنهم "**جعفر بن عبد الله بن محمد بن بونة**" (ت. 642ه / 1244م) صاحب الطريقة البونية ومؤسسها وهو من أهل شرق الأندلس[71]، ومن أهم آثاره العلمية كتاب "**مفاتيح الغيب لإزالة الريب وستر العيب**" وكتاب "**حرز الأقسام**" و"**ديوان أبي مدين**" و"**أنس الوحيد ونزهة المريد في الترحيب**"[72] ويعتبر "**أبو مدين**" الشخصية الأندلسية التي أسست للتيار الصوفي في المغرب الأوسط وتوسيع رقعة انتشاره وتأصيل مضمونه المعرفي وساهم في ربط فكرة التواصل الصوفي والثقافي بين حواضر المغرب الإسلامي وعلى رأسها بجاية والأندلس وتلمسان التي أصبحت مزارا لكثير من محبي التصوف ومعتنقيه[73].

ومنهم "**أبو محمد عبد الحق بن عبد الله بن الحسين بن سعيد الأزدي الإشبيلي**" المعروف بابن الخراط (ت. 582ه/ 1185م)[74] ولد بإشبيلية ونشأ بها وأخذ عن شيوخها وانتقل إلى لبلة وتفقه بها على يد "**خليل بن إسماعيل**" واستقر بها حتى اندلعت الفتنة السياسية[75] ومنها هجوم الموحدين عليها في 549ه/ 1145م وقتلهم الآلاف من سكانها ما دفع سكانها بالنجو بأنفسهم فغادر لبلة نحو بجاية واستقر بها وتوفي بها بعد محنة لحقته مع الدولة[76]، وولي الخطبة وصلاة الجمعة بجامعها الأعظم وجلس للوثيقة والشهادة وولي قضاء بجاية لمدة قليلة وألف الكتب وصنف الدواوين وكان فقيها عالما بالحديث وعلمه موصوفا بالخير والصلاح والزهد والورع ومشاركا في الأدب وقول الشعر[77].

ومن أهم تصانيفه كتاب "**الجمع بين الصحيحين**" وكتاب "**الجمع بين المصنفات الستة**" وكتاب "**المعتقل من الحديث**" وكتاب "**الرقائق والأنيس**" في المواعظ والأمثال والحكم والآداب وله في اللغة كتاب "**الواعي**" كتاب حافل في ثمانية عشرة سفر ضاهى به "**كتاب الغريبين**" لأبي عبيد الهروي[78] وكتاب "**العاقبة**" في التصوف والزهد الذي تم تداوله بين الناس وكان له تأثير كبير على المتصوفة الذي جاؤوا بعده منهم "**الثعالبي**" في كتابه "**العلوم الفاخرة**"، وكان له كتاب "**الصلاة والتهجد**" الذي نشره تلميذه "**محمد بن جعفر الأندلسي**" (ت. 632هـ/1235م) بالأندلس وكتاب "**التوبة**" في سفرين وفي علم الحديث كتاب "**الأحكام الصغرى**" وكتاب "**الأحكام الكبرى**" الذي تم تداوله بشكل كبير في المشرق والمغرب الإسلامي والأندلس، بالإضافة إلى ديوان شعر في الزهد والتصوف وشؤون الآخرة[79].

وقد قرأ وتخرج على يده عدد كبير من العلماء في المغرب الإسلامي والأندلس أمثال الفقيه الصوفي "**محي الدين بن عربي بن علي الحاتمي المرسي**" (ت. 638هـ /1240م) الذي تلقى عنه جميع مصنفاته في الحديث وكتب الإمام "**أبي محمد علي ابن حزم**"[80] والعالم "**محمد بن علي بن يخلف بن يوسف بن حسون**" (ت. 606هـ /1209م) المكنى "**أبا عبد الله**" من أهل الجزائر وعاش في بجاية وروى عن "**ابن الخراط**"[81] والشيخ الفقيه القاضي "**أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبي القاسم عبد الرحمن بن عثمان التميمي**" (ت. 714هـ/1314م) الذي تولى قضاء بلنسية وكان قضاؤه على أصالة وله من التحصيل مالا يشغله عنه شاغل لقي الفقيه "**ابن الخراط**" وأخذ عنه وسمع منه وأجاز له، والخطيب العارف "**أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الوغليسي**" (عاش في القرن السابع هجري) الذي كان عالما بالكتابتين الأدبية والشرعية وعليه كان المعتمد في وقته في المخاطبات السلطانية إنشاء وجوابا وعليه كان اعتماد القضاة في التسجيلات والوثائق وقد ولي الخطابة في جامع القصبة ببجاية ولقي الفقيه "**أبا محمد عبد الحق الإشبيلي**" وأخذ عليه وكان كثير الإجلال له والتعظيم لقدره وكان يعده من أشياخه الأجلاء[82] والعالم النحوي "**أبو عمران موسى بن عبد الرحمن بن يحيى الغرناطي**" المعروف بابن السخان (ت. 628هـ/1231م) الذي روى عن "**ابن الخراط**" وأجاز له وكان مقرئا نحويا لغويا معلما بذلك[83].

ويبدو من خلال ما أوجزناه من التلاميذ الذين أخذوا عنه وأجاز لهم أن الفقيه "**عبد الحق الإشبيلي**" كان له الفضل في تكوين عدد كبير من الطلبة الذين أصبحوا علماء أجلاء يؤخذ برأيهم وهم أهل صلاح وعلم فقد اقتدوا بمعلمهم وشيخهم "**ابن الخراط**" في الزهد والورع ولزوم السنة وفي محبة العلم والتأليف والاجتهاد، كما كان عالما ذو همة ورفعة ببجاية التي قدم إليها من الأندلس وكان لوجوده بحاضرة المغرب الأوسط ولإسهاماته في مجال التأليف الأثر الإيجابي في ازدهار الحياة العلمية ببجاية خلال القرن السابع هجري.

ومن العلماء الذين قدموا للمغرب الأوسط من بلاد الأندلس الفقيه العالم "**أبو بكر محمد بن يوسف بن مفرج بن سعادة الإشبيلي**" (ت. 600هـ /1203م) نزل تلمسان وعمَّر بها وكان مجودا للقرآن ومحدثا عالي الرواية أخذ القراءات عن "**أبي الحسن شريح**" موطأ مالك رواية "**يحيى بن يحيى**" وصحيح البخاري رواية "**أبي**

ذر" خاصة وأخذ أيضا عن "**أبي العباس بن حرب المسيلي**" وسمع عن "**أبي بكر بن العربي**" وأجازه أبو بكر بن رزق" و"**ابن مدير**" و"**أبو طاهر السلفي**" وروى عنه "**أبو إسحاق ابراهيم الهواري**" و"**أبو زكريا يحيى بن عصفور**" و"**أبو العيش بن عبد الرحيم الخزرجي**"[84]، ومنهم الشيخ "**أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن أحمد العبدري التلمساني الآبلي**" (ت. 757هـ/1356م) الإمام العلامة المجتمع عليه شيخ العلوم العقلية والنقلية في عصره أصل أجداده من آبلة من بلاد الجوف بالأندلس منها أجاز والده وعمه أحمد لتلمسان واستخدمهم السلطان "**يغمراسن بن زيان**" ولد في تلمسان سنة 681هـ/1282م ونشأ بها حيث أخذ على "**أبي موسى بن الامام**" وعلى جده قاضي تلمسان و"**أبي الحسن التنسي**"[85].

ولما استولى يوسف بن يعقوب المدني على تلمسان استخدمه؛ إلا أنه قبل الوظيفة على مضض وسرعان ما تركها[86] وأثناء رحلته إلى الحجاز لأداء فريضة الحج مر بمصر والشام والعراق حيث التقى بعلمائها كابن رقيق العيد وابن الرفعة والصفي الهندي والتبريزي وغيرهم[87]، ثم عاد إلى تلمسان حيث عرض عليه السلطان "**أبو حمو موسى**" ضبط جباية أمواله غير أن الآبلي أعرض عن ذلك وفر إلى فاس حيث اختفى عند شيخ التعاليم "**خلوف المغيلي اليهودي**" الذي هيأ له كل الظروف لاستكمال دروسه والتبحر في مختلف العلوم ومنها توجه إلى مراكش سنة 710هـ/1310م ونزل عند العلامة الإمام "**أبو العباس أحمد بن البناء**" الذي أخذ عنه فنون التعاليم فلازم الآبلي علماء فاس ومراكش وانظم إلى مجلسهم وانتصب للتدريس في عواصم بلاد المغرب وحواضره فانهال عليه طلبة العلم من كل ناحية[88].

وكان للآبلي دورا كبيرا وأثرا بارزا في نشر العلوم العقلية وكانت مجالسه وحلقاته تعج بالطلبة والتلاميذ والعلماء زهو ما أكده "**ابن خلدون**" في رحلته لما قال: "... **ونظمه في جملة العلماء بمجلسه، وهو في خلال ذلك يعلم العلوم العقلية ويبثها بين أهل المغرب حتى حذق فيها الكثير منهم من سائر أمصارها وألحق الأصاغر والأكابر في تعليمه**" [89].

وقد ورد على ملوك بني عبد الواد" عددا من الفقهاء الأندلسيين الذين توافدوا على تلمسان وحظوا بمكانة رفيعة في البلاط الزياني ومنهم "**أبو بكر محمد عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي المرسي**" (ت688هـ/1289م)[90] الذي كان من أبرع الكتاب خطا وأدبا ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه وكتب عن ملوك غرناطة، وقد رحل إلى مرسية ثم إلى تلمسان ولما ظهر اهتمام السلطان "**يغمراسن بن زيان**" بالعلوم قربه منه[91] والفقيه "**عبدون بن الحباك**" (ت867هـ/1463م) الذي تولى القضاء بتلمسان وكان خطيبا بارعا وصاحبا لأمير المسلمين "يغمراسن بن زيان"[92].

ومن الأدباء ورد على تلمسان عدد من الأندلسيين منهم الكاتب "أبو بكر محمد بن عبد الله بن داود بن خطاب الغافقي" (ت. 686هـ/1287م) كان كاتبا بارعا وشاعرا مجيدا وله مشاركة في أصول الفقه وعلم الكلام استعمل في الكتابة السلطانية في غرناطة مدة وانتقل إلى مرسية التي تركها بعد سوء الأحوال السياسية نحو العدوة المغربية واستقر بتلمسان ككاتب للسلطان "**أبي يحيى يغمراسن**"، ومن مشيخته القاضيين "**أبي عيسى بن**

أبي السداد" و"**أبي بكر بن محرز**" وأخذ عن الأستاذ "**أبي بكر القرشي**" وعن "**أبي بكر بن جهور**" وأجاز له في الكتابة "**أبي الربيع بن سالم**" وغيره[93]، وكان بارعا في فن كتابة الرسائل خطا ونثرا وشعرا حيث تنوعت رسائله النثرية بين الديوانية والإخوانية خاصة الرسائل السلطانية التي كانت بين السلطان الزياني وسلاطين وملوك عصره؛ هذه الرسائل التي كان لها قيمة تاريخية وأدبية جمعت في كتاب سماه صاحبه "**فصل الخطاب**" اقتصرت رسائله على النثر دون النظم قسم لعشر أبواب وهو من الآثار التي تدل على قيمة "**أبي بكر الغافقي**" التي جعلته يحتل مكانة مرموقة في مجال الأدب والبلاغة، ومنهم أيضا الشاعر "**محمد بن قاسم المرسي**" والشاعر "**محمد بن قاسم القيسي**" الذين كان لهم أثر أدبي من خلال القصائد التي نظمت في حاضرة تلمسان[94].

من خلال هذه النماذج من العلماء والفقهاء والأدباء الذين وردوا على حواضر المغرب الأوسط من الأندلس يبرز دور الهجرة الأندلسية في إعطاء حواضر المغرب الأوسط خاصة تلمسان وبجاية بعدا أندلسيا واضحا في المجال العلمي والثقافي؛ فبرز الكثير من العلماء في علوم القرآن والفقه والحديث وعدد من اللغويين والأدباء والشعراء وطدوا العلاقات العلمية بين الأندلس والمغرب الأوسط وساهموا في ظهور البيوتات العلمية الأندلسية التي أسهمت في إثراء الحياة الثقافية وأبرزت نشاطا فائقا وإنتاجا كبيرا في التأليف ولعبت دورا كبيرا في بناء صرحا علميا ودينيا كبيرا جعل من تلمسان قطبا علميا رائدا في الغرب الإسلامي.

2.3.ظهور البيوتات العلمية ودورها العلمي

يذكر الإمام النسابة "**الشريف عبد الكبير بن هاشم الكتاني**" في كتابه "**زهرة الآس في بيوتات أهل فاس**" أن البيوتات جمع بيت والمراد به بيت المجد والتعظيم ويكون في القبائل بالعلم والولاية والثروة والجود والشجاعة والبيت هو ما كانت له سابقة ولاحقة وعَمَادُ حال ومَسَاكُ دهر؛ ويراد بالسابقة ما سبق من شرف الآباء والأجداد وباللاحقة ما لحق من شرف الأبناء وبعماد الحال الثروة وبمساك الدهر أي الجاه وهذا في غير بيت الرسول ﷺ[95].

فالبيوتات العلمية هي بيوت أسر تسلسل فيها العلم والمعرفة وألفيت جذورا ضاربة في القدم حتى أطلق على هذا النوع من أهل العلم "**رواية الأبناء عن الآباء**" ونجد عدد كبير من البيوتات أهمها "**بيوتات العلم والحديث في الأندلس**" و"**بيوتات فاس**" وفي المغرب الأوسط بروز "**بيوتات تلمسان**" التي ظهرت بعد تزايد حركة الهجرة الأندلسية والإحتكاك بالعلماء الأندلسيين[96]، منها البيوتات الكبرى التي أنجبت ثلاث علماء فأكثر واشتهروا بإنتاجهم العلمي وعرفوا بنشاطهم في مختلف الميادين خاصة التعليم وكانت بيوتاتهم مشهورة كبيت المقري وبيت العقباني وبيت المرازقة[97] والبيوتات الصغرى هي التي كان انتاجها للعلماء محدودا بين عالمين أو ثلاثة ومنها بيت ابن هدية وبيت الشريف[98].

ومن البيوتات الكبرى التي اشتهرت بها تلمسان بيت العقباني الذي ينسب إلى تُجِيب أي تُجِيبي الأصل وينحدر من عقبان قرية بالأندلس وبعد الظروف السيئة التي عرفها الأندلس بعد تراجع الدور الموحدي انتقلت

عائلات وأسر كثيرة من الاندلس واستقرت في تلمسان أواخر القرن السابع هجري وبداية القرن الثامن هجري والتي استقرت بها وذاع صيتها العلمي وانجبت ثلة من العلماء كان لهم إسهام كبير في البناء الحضاري لحاضرة تلمسان خلال القرن الثامن هجري ؛ فمن أهم علماء هذه العائلة "**سعيد بن محمد بن محمد العقباني التلمساني**" (ت. 811ه/1408م) الفقيه العالم تولى قضاء بجاية أيام السلطان "**أبي عنان**" وتولى قضاء تلمسان قرابة الأربعين سنة وألف شرح الحوفية وتفسير سورتي الأنعام والفتح وشرح البردة وأخذ عنه عدد من الأئمة كالإمام "**إبراهيم المصمودي**" و"**أبي يحيى الشريف**" و"**ابن مرزوق الحفيد**" وولده "**قاسم العقباني**" والإمام "**أبي العباس بن زاغو**" وبالإجازة الإمام "**محمد بن عقاب الجذامي**"[99].

ومن بيت العقابي نجد الإمام العلامة المجتهد "**قاسم بن سعيد بن محمد العقباني**" (ت. 854ه/1450م) المتفوق في علم اللسان والبيان وعكف على التعليم ولي خطة قضاء تلمسان في صغره، وله أجوبة كثيرة عن مسائل تتعلق بالصوفية واجتماعهم على الذكر وله مصنف في أصول الدين وشرح للبرهانية للسلانكي في أصول الدين ولابن الحاجب الأصلي وللحوفي في الفرائض[100]، بالإضافة إلى العالم الفقيه "**أحمد بن قاسم بن سعيد**" (ت. 840ه/1436م) والفقيه العالم قاضي الجماعة "**إبراهيم بن قاسم بن سعيد**"(ت. 880ه/1436م) والفقيه القاضي المدرس "**محمد بن أحمد بن قاسم بن سعيد**" (ت. 871ه/1466م)[101] وتقلدوا منصب قاضي تلمسان وكلهم عكفوا على التعليم وكانت لهم مؤلفات واجتهادات في أصول الدين وكان أثرهم كبير في ازدهار العلوم الدينية وفي استقرار النظام القضائي في تلمسان لمدة طويلة.

ومن البيوتات الصغرى التي كان لها وزنها في المغرب الأوسط بيت الشريف التلمساني الذي ارتبط بالفقيه الصوفي "**محمد بن أحمد بن علي بن الشريف الإدريسي العلوي التلمساني**" توفي سنة 771ه/1370م وأمر السلطان "**أبو حو**" بدفنه عند قبر والده المولى "**أبي يعقوب**" تبركا له بجواره[102]، وكان أعلم أهل عصره ويعرف بالعلوي لأنه ينسب لقريته وهي من أعمال تلمسان تسمى العلويين[103]، ومن هذه الأسرة نجد أيضا شهيد العلماء الغريق "**أبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف**" (ت. 792ه/1390م) الإمام العلامة المحقق الحافظ قرأ على النحوي "**أبي عبد الله بن زيد**" والفقيه النحوي الصالح "**محمد بن حياتي**" (790ه/1388م) وعلى الخطيب "**ابن مرزوق**" و"**أحمد القباب**" وكان حافظا للمسائل وبصيرا بالفتاوي والأحكام ونحويا حافظا للغة والغريب والشعر والمثل وغزير العلم.

ومنهم شريف العلماء "**أبو يحيى عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف**" (ت. 826ه/1422م) وفي ليلة مولده كان مع أبيه "**أبو زيد ابن خلدون**" و"**أبو يحيى ابن السماك**" طلبه كل أن يسميه به فسماه عبد الرحمن وكناه أبا يحيى، أخذ عن أخيه وعن "**سعيد العقباني**" و"**ابن حياتي**" وجلس نجلس أخيه لما مرض سنة 784ه/1382م، وأخذ عنه كل من "**أبي عبد الله القيسي**" و"**الجاديري**"[104]، وتؤكد المصادر والنصوص على ذيوع شهرة بيت "**أبي عبد الله الشريف العلوي**" العلمية بالغرب الإسلامي عامة والمغرب الأوسط بشكل خاص

والتي بلغت أوجها خلال القرن الثامن هجري وذلك بكونهم فقهاء معلمين في شبكة العلماء بالمغرب الأوسط وارتباطهم بعلاقات ثقافية وفكرية بالنخب الكاتبة العالمة في الغرب الإسلامي.

فكان فقهاء الأندلس يرسلون المسائل الفقهية ويطلبون الفتوى ورأي "**عبد الله الشريف**" فيها والتي كان يجيب عليها ويحيط بكل تفاصيلها ويمكن وصف الأمر بالأسئلة الغرناطية والأجوبة التلمسانية وهو شكل من أشكال المثاقفة الفريدة بين الطرفين[105].

كان لعلماء البيوتات التلمساني بصمات الحضارية وأدوار هامة من خلال الوظائف التي مارسوها سواء في خطة الإمامة والخطابة والفتوى وخطة القضاء والتعليم فساهموا في تفعيل حركية هذه النشاطات مستفيدين من المؤسسات المنجزة ودعم سلاطين الدولة ومؤديين لواجبهم الحضاري للدولة الزيانية؛ فكانت مساهمة البيوتات الكبرى وعلى رأسها بيت العقباني والمقري دورا وأثرا بارزا فلا شك أن ما اكتسبه علماء الأسرة من علم من خلال رحلاتهم العلمية لمختلف حواضر مغرب الإسلامي خاصة نحو الأندلس واحتكاكهم بفقهائها وعلمائها قد أكسبهم علما وفيرا ساهم في بروز دورهم في مجال التعليم وتولي المناصب السياسية ومن خلال آثارهم العلمية.

لعب بيت العقباني الدور نفسه وساهم علماؤه في ازدهار الحياة الفكرية في تلمسان فيعتبر العلامة والإمام والقاضي "**سعيد بن محمد**" من أكابر فقهاء المالكية في المغرب الأوسط وكانت له مؤلفات كثيرة استفاد منها الطلبة خاصة في علم الفقه منها كتاب "**شرح الحوفية**" في الفرائض على مذهب الإمام مالك وتفسير سورتي الأنعام والفتح و"**شرح التلخيص**" للفقيه "**ابن البناء**" وقد أخذ هنه العديد من العلماء أمثال "**ابراهيم بن موسى المصمودي**" و"**ابن زاغو**"[106] و"**عبد الرحمن الشريف**" و"**محمد بن محمد بن علي المجاري الأندلسي**" وفي إجازة أجاز "**محمد بن عقاب الجذامي التونسي**"[107]، وقد اشتهر بنباهته في القضاء وتفرقه في المباحث القضائية وتميز بالحكمة والحزم واستطاع الوصول لمرتبة الفقهاء الذين يتصدون للفتاوى خاصة في أحكام وفتاوى الأحباس والمساجد وتدريس وتحفيض القرآن والحسبة والعقود ومراقبة النقود؛ حيث نبغ في مجالات العلوم المختلفة فدرَّس علم الفرائض وعلم الأصول وعلم المنطق والحساب والجبر حيث شرح أرجوزة "**ابن ياسمين**" وكتاب تلخيص أعمال الحساب للعالم "**ابن البنا المراكشي**" وتميز بأدائه العالي وبمستوى راقي في التدريس يحرص فيه على الشرح المفصل والتحليل بالطريقة الحوارية[108].

أما بيت الشريف فبرز أثرهم العلمي في مجال التدريس والتأليف والإفتاء؛ ففي المجال التعليمي كان "**أبو عبد الله الشريف**" أول المدرسين وعمدة المدرسين في المدرسة اليعقوبية حيث استدعي من فاس لتولي هذه المهمة التي تولاها حتى وفاته وقد اصطفي للتدريس وكانت بداية الإقراء فيها في الخامس من شهر صفر 765هـ/ 1364م وكان يوما مشهودا، ثم استخلف من طرف ابنه "**أبا محمد عبد الله الشريف**" بأمر من السلطان "**أبو حمو موسى الثاني**" الذي أجلسه مجلس أبيه للتدريس ووضع فيه ثقة الإشراف على التعليم في المدرسة التي تخلى عنها لأخيه "**أبا يحيى عبد الرحمن الشريف**" بعد مرضه.

وفي مجال الفتوى فقد اختبر "**الشريف التلمساني**" مرار وكان في كل مناسبة يثبت تفوقه ويفرض نفسه وكانت الرسائل والاستفسار في المسائل الفقهية والعقدية تصله من كل حواضر المغرب الإسلامي والأندلس[109]، ونلاحظ مدى الجهد الذي بذله رواد البيوتات العلمية في جانب العلوم العقلية والنقلية خاصة الفقه والتفسير وصناعة الفتوى ودورهم في نشر وترسيخ مناهج التدريس وأثرهم العميق في تثبيت المنظومة التعليمية الزيانية بالاعتماد على المدرسة العقلية التي ترتكز على الحجج والبحث وإعمال الفكر والحفظ فأضحت هذه البيوتات العلمية منارة لنشر العلم وازدهار الحياة الثقافية والحضارية في حاضرة تلمسان وجعلت شهرتها تبلغ الآفاق بنور المعرفة وساهمت بشكل كبير في تقدم الحضارة الإسلامية في الغرب الإسلامي بشكل عام والمغرب الأوسط بشكل خاص.

خاتمة

من خلال ما ذكرنا يمكن أن نستخلص عدة نتائج أهمها :

ساهمت الظروف السياسية وتدهور الأوضاع بالأندلس بعد اشتداد حروب الاسترداد في تحرك أهل البلاد هربا من الإجراءات التعسفية الصليبية كالقتل والتعذيب وانتهاك الحرمات وإحراق الكتب والمكتبات نحو مدن المغرب الأوسط خاصة الساحلية حيث سهلت المراسي والوحدة المذهبية في اختيار أهل الأندلس الاستقرار بوهران وتنس وغيرها.

استقبل المغرب الأوسط الآلاف من الأندلسيين عبر المراحل التاريخية أين وجدت الجالية الأندلسية في حواضر المغرب الأوسط الظروف المناسبة للاستقرار وتحقيق أهدافهم الاجتماعية والاقتصادية وخاصة العلمية فكان للعلماء والفقهاء والأدباء الأثر البارز في ازدهار الحياة الثقافية.

كان استقرار الأندلسيين في كل مدن المغرب الأوسط كوهران وأرشقول وشرشال وبرشك وهنين وتنس وتيهرت وجزائر بني مزغنة والقلعة وبشكل أوسع في بجاية وتلمسان.

كان تأثير العلماء والفقهاء الأندلسيين كبير وبارز في مجال التعليم خاصة في طريقة التدريس وفي بناء المدارس والإشراف عليها.

ازدهار الحياة العلمية في حواضر المغرب الأوسط خاصة بجاية وتلمسان والدور الفعال لسلاطين وأمراء الدولة الحمادية والزيانية كانت دوافع قوية لتزايد الهجرة الأندلسية نحو المغرب الأوسط خاصة القرن السابع والثامن هجري.

حظيت العناصر الأندلسية في المغرب الأوسط مكانة رفيعة ومتميزة حيث تقلدوا مناصب حساسة في الدولة كالحجابة والوزارة وساهمت الجالية الأندلسية في ازدهار العديد من الميادين وخاصة الميدان العلمي حيث ازدهرت الحركة العلمية وظهرت العديد من المكتبات والزوايا والمدارس.

عرفت بجاية وتلمسان نشاطا علميا كبيرا خاصة في مجال المناظرات والحلقات العلمية وحركة التأليف، كما شهدت حركة صوفية نشيطة أشرف عليها العالم الفقيه "**أبي مدين الغوث**" وتلامذته من بعده بلغ صيتها كل حواضر المغرب الإسلامي.

الهوامش:

1- مجمع اللغة العربية، (2004)، **المعجم الوسيط**، ط. 4، القاهرة، مصر، مكتبة الشروق الدولية، ص.973.

2- الفيروزآبادي: مجد الدين محمد بن يعقوب (ت. 817 هـ)، (2005)، **القاموس المحيط**، تح. محمد نعيم العرقسوسي، ط. 8، بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ص. 495.

3- القرآن الكريم، سورة الحشر، الآية 9.

4- الإمام الحافظ مسلم: أبي الحسين بن الحاج القشيري النيسابوري (ت. 261هـ/ 875م)، (2006)، **صحيح مسلم " المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**"، مج. 2، الرياض، السعودية، عناية أبو قتيبة نظر محمد فاريابي، دار طيبة، ص. 1079.

5- القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 100.

6- القرآن الكريم، سورة النحل، الآية 41.

7- الإمام البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل (ت. 256هـ/ 870م)، (2002)، **صحيح البخاري**، دمشق، بيروت، دار ابن كثير الطباعة والنشر والتوزيع، ص. 1754.

8- ابن خلدون: عبد الرحمن (ت. 808 هـ)، (2005)، **مقدمة ابن خلدون**، القاهرة، مصر، دار ابن الهيثم، ص. 299.

9- سامية مصطفى مسعد، (2000)، **العلاقات بين المغرب والأندلس في عصر الخلافة الأموية**، القاهرة، مصر، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ص. 175.

10- رفيق خليفي، (2013)، **تطور استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط (ق. 2- 10هـ/ 8-16 م)**، **مغرب أوسطيات دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي الوسيط**، (إشراف علاوة عمارة وآخرون)، قسنطينة، الجزائر، مؤسسة حسين راس الجبل، ص. 90.

11- ابن عذاري المراكشي (كان حيا سنة 712هـ)، (2013)، **البيان المغرب في اختصار أخبار الاندلس والمغرب**، مج. 2، تح. بشار عواد معروف ومحمود بشار عواد، تونس، دار الغرب الإسلامي، ص. ص. 46-47.

12- مؤلف مجهول، (2007)، **تاريخ الأندلس**، تح. عبد القادر بوباية، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص. ص. 166، 180.

13- ابن حيان القرطبي: أبو مروان حيان بن خلف بن حسين (ت. 469هـ)، (1994)، **المقتبس من أنباء أهل الأندلس**، تح. محمود علي مكي، القاهرة، دار التعاون للطبع والنشر، ص. 225.

14- ابن الأثير: عز الدين أبي الحسن الجزري (ت. 630هـ/1233م)، (1987)، **الكامل في التاريخ**، مج. 5، مر. وتص. محمد يوسف الدقاق، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص. ص. 469-470.

15- أبي زكريا: يحيى بن أبي بكر الورجلاني (ت. 471هـ/ 1078م)، (1982)، **كتاب سير الأئمة وأخبارهم**، تح. إسماعيل العربي، ط. 2، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ص. ص. 84-85.

16- بحاز إبراهيم بكير، (1993)، **الدولة الرستمية 160-296هـ/777-909م** "**دراسة في الأوضاع الاقتصادية والحياة الفكرية**"، ط. 2، غرداية، الجزائر، المطبعة العربية، ص. 387.

17- اسماعيل سامعي، (2018)، **تاريخ الأندلس الاقتصادي والاجتماعي**، عمان، الأردن، مركز الكتاب الأكاديمي، ص. 102.

18- ليفي بوفونسال، (2000)، **تاريخ إسبانيا الإسلامية من الفتح إلى سقوط الخلافة القرطبية (711- 1031م)**، تر. علي عبد الرؤوف البمبي وآخرون، مر. صلاح فضل، ط. 3، القاهرة، مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، ص. 186.

19- بحاز إبراهيم بكير، المرجع السابق، ص. ص. 204-205.

20- ابن حوقل: أبي القاسم النصيبي (ت. 367هـ)، (1992)، **صورة الأرض**، بيروت، لبنان، دار مكتبة الحياة للطباعة والنشر، ص. 78.

21- البكري: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد بن أيوب بن عمرو (ت. 487هـ/ 1094م)، (2003)، **المسالك والممالك**، تح. جمال طلبة، ج. 2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص. ص. 241-242.

22- المهدي بوعبدلي، (2013)، **تاريخ المدن**، جمع وإعداد عبد الرحمن دويب، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص. ص. 482-483.

23- البكري، المصدر السابق، ص. 252؛ الزياني: محمد بن يوسف، (2013)، **دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران**، تح. المهدي البوعبدلي، عناية عبد الرحمن دويب، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص. 50.

24- ابن عذاري المراكشي، (1980)، **البيان المغرب في اختصار أخبار الاندلس والمغرب**، ج. 2، تح. ج. س كولان وليفي بروفانسال، بيروت، لبنان، دار الثقافة، ص. ص. 242-243.

25- محمد اليعلاوي، (1985)، **ابن هاني المغربي الأندلسي شاعر الدولة الفاطمية**، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ص. ص. 117، 120.

26- عبد العزيز فيلالي، (1999)، **العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب**، ط. 2، القاهرة، مصر، دار الفجر للنشر والتوزيع،ص. ص. 101-102.

27- أحمد مختار العبادي، (د.ت)، **في تاريخ المغرب والأندلس**، بيروت، لبنان، دار النهضة العربية، ص. 254.

28- لسان الدين ابن الخطيب: أبي عبد الله (ت. 776هـ)، (2002)، **أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام وما يتعلق بذلك من الكلام**، تح. سيد كسروي حسن، ج. 2، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص. 139.

29- خليل إبراهيم السامرائي وآخرون، (2000)، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس**، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة، ص. 224.

30- Ronald A. Messier, (2010), **The Almoravids and The Meanings of Jihad**, Oxford, England, Praeger, p. 71.

31- سلامة محمد سلمان الهرفي، (1985)، **دولة المرابطين في عهد علي بن يوسف بن تاشفين دراسة سياسية وحضارية**، بيروت، لبنان، دار الندوة الجديدة، ص. 183.

32- كربوعة سالم، (2017)، **الدور السياسي للعلماء بالأندلس في عصري المرابطين والموحدين 483-640هـ/1090-1242م**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الوسيط غير منشورة، المدرسة العليا للأساتذة، الجزائر، ص. 31.

33- ابن الكردبوس : عبد الملك بن أبي القاسم بن محمد (ت. 580هـ)، (1971)، **تاريخ الأندلس**، تح. أحمد مختار العبادي، مدريد، اسبانيا، معهد الدراسات الإسلامية، ص. 74.

34- Ronald A. Messier, Op. cit., p. p.73-74.

35- حسين مؤنس، (1991)، **الثغر الأعلى الأندلسي** في **عصر المرابطين وسقوط سرقسطة في يد النصارى سنة 512هـ/1118م مع أربع وثائق جديدة**، مصر، مكتبة الثقافة الدينية، ص. 27.

36- ابن الكردبوس، المصدر السابق، ص. ص.118-119.

37- بوزينة السعيد، (2019)، "**الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأوسط وظاهرة بناء المدن "مدينة تنس انموذجا**"، مجلة قبس للدراسات الإنسانية والإجتماعية، جامعة الوادي، مج. 3، ع. 1، ص. 382.

38- حسين مؤنس، المرجع السابق، ص. 27.

39- عبد العزيز شاكي، (2016)، "**الصراع المرابطي الأراغوني أيام علي بن يوسف 500-537ه**"، مجلة جامعة بابل للعلوم الانسانية، مج. 24، ع. 3، ص. 1494.

40- عبد الله عنان، (1990)، **دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث "عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس"**، ق. 1، ط. 2، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص. 120.

41- **العقاب**: موقع بين جيان وقلعة رباح في جنوب الأندلس كانت فيه معركة انهزم فيها "**الناصر الموحدي محمد بن المنصور**" هزيمة شنيعة في منتصف صفر 609ه/ 1212 وكانت أول وهن دخل على الموحدين فلم تقم بعد ذلك لأهل المغرب قائمة . أنظر: الحميري : أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت.866ه)، (1988)، **صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح. ليفي بروفانسال، ط. 2، بيروت، لبنان، دار الجيل، ص. ص. 137-138.

42- ابن عذاري المراكشي، (1985)، **البيان المغرب في اختصار أخبار الاندلس والمغرب**، ق. الموحدين، تح. محمد إبراهيم الكتاني وأخرون، بيروت، لبنان، دار الغرب الإسلامي، ص. 263.

43- ابن الأحمر، (2001)، **تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان**، تح. هاني سلامة، الظاهر، القاهرة، مكتبة الثقافة الدينية، ص. ص. 3-8.

44- شاوش محمد بن رمضان، (2001)، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ج1، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ص. 62.

45- يوسف أشباخ، (1996)، **تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين**، تر. محمد عبد الله عنان، ج. 2، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص. ص. 183، 186.

46- عبد الله عنان، (1997)، **دولة الإسلام في الأندلس "العصر الرابع نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين"**، ط. 4، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص. 34.

47- ابن الأبار: أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي (ت. 685ه)، (1985)، **الحلة السيراء**، ج. 2، تح. حسين مؤنس، ط. 2، القاهرة، دار المعارف، ص. 303.

48- علي حسين الشطشاط، (2001)، **نهاية الوجود العربي في الأندلس**، القاهرة، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، ص. 61.

49- مختار حساني، (2009)، **تاريخ الدولة الزيانية "الأحوال الاجتماعية"**، ج. 3، الجزائر، منشورات الحضارة، ص. 77.

50- عبد الرحمن علي الحجي، (1981)، **التاريخ الإسلامي من الفتح حتى سقوط غرناطة 92-897ه/711-1492م**، ط. 2، دمشق، سوريا، دار القلم، ص. 480.

51- بوحسون عبد القادر، (2013)، **الاندلس في عهد بني الأحمر "دراسة تاريخية وثقافية"**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي، إشراف. عبدلي لخضر، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ص.47.

52- ابن خلدون، (2000)، **العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ج. 7، مر. سهيل زكار، ط. 4، بيروت، لبنان، دار الفكر، ص. ص. 119-120.

53- عبد الهادي التازي، (1988)، **التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم** ، مج. 7 " **عهد بني مرين والوطاسيين**"، المحمدية، المغرب، مطبعة فضالة، ص.11.

54- ابن خلدون، ج7، ص. ص. 266-267.

55- Atallah Dhina,(s.d),**Le Royaume Abdelouadide à l'époque d'Abou Hammou Moussa 1er et d'Abou Tachfin 1er** , Office des Publications Universitaires , Alger, p. 49.

56- مختار حساني، المرجع السابق، ص. 78.

57- فيلالي عبد العزيز، المرجع السابق، ص. 319.

58- ابن مريم، (1907)، **البستان في ذكر الأولياء العلماء بتلمسان**، الجزائر، المطبعة الثعالبية، ص. 227.

59- فؤاد طوهارة، (2015)، "**الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط السياق التاريخي والمجال الجغرافي**"، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، الجزائر، ع. 15، ص. 161.

60- ابن خلدون، المقدمة، ص. ص. 478-479.

61- محمد بن أحمد ابن شقرون، (1985)، **مظاهر الثقافة المغربية دراسة في الأدب المغربي في العصر المريني**، الدار البيضاء، المغرب، دار الثقافة، ص. ص. 131-134.

62- خالد بلعربي، (2014)، **ورقات زيانية "دراسات وأبحاث في تاريخ المغرب الأوسط في العهد الزياني"**، الجزائر، دار هومه للطباعة والنشر، ص. ص. 173-174.

63- ابن خلدون، **مقدمة ...**، ص. ص. 299-300.

64- محمد سعداني، (2016)، **الأندلسيون وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع الهجريين من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر الميلاديين**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاسلامية، قسم الحضارة الاسلامية، جامعة بن بلة وهران1، الجزائر، ص. 138.

65- الغبريني: أبو العباس احمد بن أحمد بن عبد الله (ت. 714 ﻫ/ 1315م) ، (1979)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تح. عادل نويهض، بيروت، دار الآفات الجديدة، ص. 28.

66- ابن مريم، المصدر السابق، ص. 114.

67- ابن الزيات: أبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت. 617ﻫ/ 1220م)، (1997)، تح. أحمد التوفيق، ط. 2، الدار البيضاء، المغرب، مطبعة النجاح الجديدة، ص. 319 ؛ الصومعي : أبو العباس أحمد التادلي (ت. 1013ﻫ/ 1604م)، (1996)، **المعزى في مناقب الشيخ أبي يعزى**، تح. علي الجاوي، الرباط، المغرب، مطبعة المعارف الجديدة، ص. 137.

68- التميمي: أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم (ت. 603ﻫ/ 1206م)، (2002)، **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد**، تح. محمد الشريف، الرباط، المغرب، مطبعة طوب براس، ص. ص. 88-89.

69- الصومعي، المصدر السابق، ص. 278.

70- ابن عبد الملك: أبي عبد الله محمد بن محمد الأنصاري الأوسي المراكشي (ت. 703ﻫ/ 1303م)، (2012)، **الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة**، مج. 2، تح. إحسان عباس وآخرون، تونس، دار الغرب الإسلامي، ص. 12 ؛ الصومعي، المصدر السابق، ص. 322.

71- ابن عبد الملك، المصدر السابق، ص. 120 ؛ المقري : أحمد بن محمد التلمساني (ت.1041ﻫ/ 1631م)، (1988)، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، مج. 2، تح. إحسان عباس، بيروت، دار صادر،ص. 616 ؛ العباس بن إبراهيم السملالي، (1993)، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، تح. عبد الوهاب بن منصور، ج. 10، ط. 2، الرباط، المغرب، المطبعة الملكية، ص. ص. 169، 173.

72- الزركلي: خير الدين (ت. 1310ﻫ/ 1892م)، (2002)، **الأعلام**، ج. 3، ط. 15، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين، ص. 166؛ مؤلف مجهول، (2011)، **ديوان أبي مدين شعيب الغوث**، إعداد وجمع وترتيب عبد القادر سعود وسليمان القرشي، بيروت، لبنان، كتاب ناشرون، ص. 8.

73- ولد أحمد عبد القادر، (2018)، "**التواصل الصوفي بين بلاد المغرب والأندلس وأثره على الحياة الثقافية**"، المجلة الجزائرية للدراسات التاريخية والقانونية، جامعة تندوف، الجزائر، ع. 5، ص. 81.

74- الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت. 748ﻫ/ 1347م)، (2004)، **سير أعلام النبلاء**، ج. 2، ترتيب حسان عبد المنان، بيروت، لبنان، بيت الأفكار الدولية، ص. 2147.

75- عبد المنعم القاسمي الحسني، (2006)، **أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى**، بوسعادة، المسيلة، الجزائر، دار الخليل القاسمي، ص. 185.

76- ابن العماد شهاب الدين أبي الفلاح: عبد الحي بن أحمد بم محمد العكري الحنبلي الدمشقي (1089هـ/ 1678م)، (1989)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، تح. عبد القادر الأرناؤوط ومحمود الأرناؤوط، مج. 6، بيروت، لبنان، دار ابن كثير، ص. ص. 444-445.

77- الغبريني، المصدر السابق، ص. 41.

78- ابن فرحون: إبراهيم بن علي بن محمد المالكي(ت. 799هـ/ 1397م)، (1972)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، تح. محمد الأحمدي أبو النور، ج. 2، القاهرة، مصر، دار التراث للطبع والنشر، ص. 60.

79- الغبريني، المصدر السابق، ص. 42 ؛ عبد المنعم القاسمي الحسني، المرجع السابق، ص. 186.

80- المقري: شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني (ت. 1041هـ/ 1631م)، (1988)، **نفح الطيب من غصن أندلس الرطيب**، تح. إحسان عباس، مج. 5، بيروت، لبنان، دار صادر، ص. ص. 162، 164.

81- ابن الأبار، (1995)، **التكملة لكتاب الصلة**، تح. عبد السلام الهراس، ج. 2، بيروت، لبنان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ص. 162.

82- الغبريني، المصدر السابق، ص. ص. 244، 282.

83- ابن الأبار، المصدر السابق، ص. ص. 181-182.

84- يحيى بن خلدون، (2011)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج. 2، تق. وتح. عبد الحميد حاجيات، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، ص. ص. 168-169 ؛ ابن الأبار، المصدر السابق، ص. 86.

85- التنبكتي: أحمد بابا(ت. 963هـ/ 1556م)، (2000)، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، تق. عبد الحميد عبد الله الهرامة، ط. 2، طرابلس، ليبيا، منشورات دار الكاتب، ص. 411 ؛ ابن خلدون، (2004)، **رحلة ابن خلدون**، تع. محمد بن تاويت الطمجي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص. 49.

86- يحيى بن خلدون، (1903)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، مج. 1، الجزائر، مطبعة بيير فونطانا الشرقية، ص. 17.

87- ابن مريم، المصدر السابق، ص. 214.

88- الحفناوي: أبي القاسم محمد، (1906)، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج. 1، مطبعة بيار فونتانا، الجزائر، ص. 94.

89- ابن خلدون، **رحلة** ....، ص. 41.

90- فيلالي عبد العزيز، (2002)، **تلمسان في العهد الزياني "دراسة سياسية، عمرانية، اجتماعية، ثقافية"**، ج. 1، الجزائر، موفم للنشر والتوزيع، ص. 456.

91- التنسي: محمد بن عبد الله (ت. 899هـ/ 1494م)، (2011)، **تاريخ بني زيان ملوك تلمسان "مقتطف من نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان"**، تح. محمود آغا بوعياد، الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، ص. 174.

92- يحيى بن خلدون، مج. 1، ص. 125.

93- لسان الدين ابن الخطيب: أبي عبد الله (ت. 776هـ/ 1374م)، (1975)، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، تح. محمد عبد الله عنان، مج. 2، القاهرة، مكتبة الخانجي، ص. ص. 426-427 ؛ يحيى بن خلدون، ج. 1، ص. 168.

94- محمد سعداني، المرجع السابق، ص. ص. 148-150.

100- نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص. ص. 77.

95- الشريف عبد الكبير بن هاشم الكتاني، **زهرة الآس في بيوتات أهل فاس**، تح. علي بن المنتصر الكتاني، ج. 1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، 2002، ص. 45.

96- محمد بن زين العابدين بن رستم، **بيوتات العلم والحديث في الأندلس**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، 2009، ص. ص. 9-10.

97- نصر الدين بن داود، (2010)، **بيوتات العلماء في تلمسان من القرن 7هـ/ 13م إلى القرن 10هـ/ 16م**، أطروحة دكتوراه، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ص. 57.

98- المرجع نفسه، ص. 113.

99- التنبكتي، المصدر السابق، ص. ص. 189-190 ؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص. ص. 106-107 ؛ السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت. 902هـ/ 1496م)، (1992)، **الضوء اللامع لأهل القرن التاسع**، ج. 5، بيروت، دار الجيل، ص. 181.

100- ابن مريم، المصدر السابق، ص. ص. 147-148.

101- Brosselard (ch), Op. cit, p. 113.

102- يحيى بن خلدون، (2011)، **بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج. 1، تق. وتح. عبد الحميد حاجيات، الجزائر، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، ص. 154، 158.

103- ابن مريم، المصدر السابق، ص. 164 ؛ ابن خلدون، (2004)، **رحلة ابن خلدون**، عارضها بأصولها وعلق على حواشيها محمد بن تاويت الطنجي، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، ص. 69.

104- التنبكتي: أحمد بابا(ت. 963هـ/ 1556م)، (2000)، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، تح. محمد مطيع، ج. 1، المحمدية، المملكة المغربية، مطبعة فضالة، ص. 272.

105- الطاهر بونابي، (2017)، "**المكانة العلمية لبيت أبي عبد الله الشريف التلمساني في الغرب الاسلامي من خلال مخطوط " مجموع فيه مناقب سيدي أبي عبد الله الشريف وولديه سيدي عبد الله الغريق والولي الصالح سيدي أبي يحيى عبد الرحمن " لحمد بن أبي يحيى عبد الرحمن ت. 895هـ (قراءة وتحقيق)**"، مجلة البحوث التاريخية، جامعة المسيلة، مج. 1، ع. 2، ص. 102.

106- ابن مريم، المصدر السابق، ص. 106 ؛ الحفناوي : أبي القاسم محمد (ت. 1360هـ/ 1943م)، (1906)، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج. 2، الجزائر، مطبعة بيار فونتانا، ص. 154 ؛ عادل نويهض، المرجع السابق، ص. 313.

107- التنبكتي، **نيل** ...، ص. 253 ؛ التنبكتي أحمد بابا، **كفاية**...، ج. 1، ص. 112 ؛ المجاري : أبو عبد الله محمد الأندلسي (ت. 862هـ/1458م)، (1982)، **برنامج المجاري**، تح. محمد أبو الأجفان، دار الغرب الإسلامي، ص. 36 ؛ ابن مخلوف : محمد بن محمد بن عمر بن قاسم (ت. 1360هـ/ 1941م)، (1349هـ/ 1930)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، القاهرة، مصر، المطبعة السلفية، ص. 246.

108- شهرزاد رفاف، (2018)، "**أبو عثمان سعيد العقباني (ت. 811هـ/ 1408م) حياته وآثاره**"، مجلة الساورة للدراسات الانسانية والاجتماعية، جامعة بشار، الجزائر، ع. 8، ص. ص. 64-65؛ نصر الدين بن داود، المرجع السابق، ص. 176.

109- يحيى ابن خلدون، ج. 2، ص. 133 ؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص. ص. 120، 173 ؛ التنبكتي، **نيل** ...، ص. 253.